وذكر (يومئذ) مع أن قوله (إذا برق البصر) الخ مغن عنه للاهتمام ذكر ذلك اليوم الذي كانوا ينكرون وقوعه (ويستهزئون) فيسألون عن وقته وللتصريح بأن حصول هذه الأحوال الثلاثة في وقت واحد .

والإنسان : هو المتحدث عنه من قوله (أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه) أي يقول الإنسان الكافر يومئذ : أين المفر .

والمفر : بفتح الميم وفتح الفاء مصدر والاستفهام مستعمل في التمني أي ليت لي فرارا في مكان نجاة ولكنه لا يستطيعه .

و (أين) ظرف مكان .

و (كلا) ردع وإبطال لما تضمنه (أين المفر) من الطمع في أن يجد للفرار سبيلا .

والوزر : المكان الذي يلجأ إليه للتوقي من إصابة مكروه مثل الجبال والحصون .

فيجوز أن يكون (كلا لا وزر) كلاما مستأنفا من جانب ا تعالى جوابا لمقالة الإنسان أي لا وزر لك فينبغي الوقف على (المفر) . ويجوز أن يكون من تمام مقالة الإنسان أي يقول : أين المفر ؟ ويجيب نفسه بإبطال طعمه فيقول (كلا لا وزر) أي لا وزر لي وذلك بأن نظر في جهاته فلم يجد إلا النار كما ورد في الحديث فيحسن أن يوصل (أين المفر) بجملة (كلا لا وزر) .

وأما A E ص) النبي به خاطب تعالى ا جانب من كلام فهو (المستقر يومئذ ربك إلى) قوله في الدنيا بقرينة قوله (يومئذ) فهو اعتراض وإدماج للتذكير بملك ذلك اليوم .

وفي إضافة (رب) إلى ضمير النبي A إيماء إلى أنه ناصره يومئذ بالانتقام من الذين لم يقبلوا دعوته .

والمستقر : مصدر ميمي من استقر إذا قر في المكان ولم ينتقل والسين والتاء للمبالغة في الوصف .

وتقديم المجرور لإفادة الحصر أي إلى ربك لا إلى ملجأ آخر . والمعنى : لا ملجأ يومئذ للإنسان إلا منتهيا إلى ربك وهذا كقوله تعالى (وإلى ا المصير) .

وجملة (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) مستأنفة استئنافا بيانيا أثاره قوله (إلى ربك يومئذ المستقر) أو بدل اشتمال من مضمون تلك الجملة أي إلى ا مصيرهم وفي مصيرهم ينبأون بما قدموا وما أخروا .

وينبغي أن يكون المراد ب (الإنسان) الكافر جريا على سياق الآيات السابقة لأنه المقصود

بالكلام وإن كان كل إنسان ينبأ يومئذ بما قدم وأخر من أهل الخير ومن أهل الشر قال تعالى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء) الآية . واختلاف مقامات الكلام يمنع من حمل ما يقع فيها من الألفاظ على محمل واحد فإن في القرآن فنونا من التذكير لا تلزم طريقة واحدة . وهذا مما يغفل عن مراعاته بعض المفسرين في حملهم معاني الآيات المتقاربة المغزى على محامل متماثلة .

وتنبئة الإنسان بما قدم وأخر كناية عن مجازاته على ما فعله : إن خيرا فخير وإن سوءا فسوء إذ يقال له : هذا جزاء الفعلة الفلانية فيعلم من ذلك فعلته ويلقى جزاءها فكان الإنباء من لوازم الجزاء قال تعالى (قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم) ويحصل في ذلك الإنباء تقريع وفضح لحاله .

والمراد ب (ما قدم) : ما فعله و ب (ما أخر) : ما تركه مما أمر بفعله أو نهي عن فعله في الحالين فخالف ما كلف به ومما علمه النبي A من الدعاء " فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت " .

(بل الإنسان على نفسه بصيرة [14] ولو ألقى معاذيره [15]) إضراب انتقالي وهو للترقي من مضمون (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) إلى الإخبار بأن الكافر يعلم ما فعله لأنهم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون إذ هو قرأ كتاب أعماله فقال (يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه) (وقالوا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا) . وقال تعالى (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) .

ونظم قوله (بل الإنسان على نفسه بصيرة) صالح لإفادة معنيين : أولهما أن يكون (بصيرة) بمعنى مبصر شديد المراقبة فيكون (بصيرة) خبرا عن (الإنسان) . و (على نفسه) متعلقا ب (بصيرة) أي الإنسان بصير بنفسه . وعدي بحرف (على) لتضمينه معنى المراقبة وهو معنى قوله في الآية الأخرى (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) . وهاء (بصيرة) تكون للمبالغة مثل هاء علامة ونسابة أي الإنسان عليم بصير قوي العلم بنفسه يومئذ